جولات فى معاهد الإصلاح

حيث يرعون المحرومين

بقلم الأستاذ محمد عبد الكريم

عرضنا فى مقالين سابقين لمشكلتى الأطفال المحرومين والفتيات المعوزات كأهم مشكلاتنا الاجتماعية وأجدر مسائلنا الاصلاحية بالعناية ، وقد بينا فيما ذكرنا مالإقامة دور الكفالة من أثر فى هذا السبيل ، ويسرنا أن نذكر أن لجنة أسبوع البر قد استقر رأيها على تخصيص ما جمع لإقامة دور لكفالة الفتاة والطفل ونوادى للصبيان . أما دور الكفالة فقد لمست البلد أثرها إذ وفقت رابطة الاصلاح الاجتماعى منذ عامين الى اقامة دارين للكفالة أحدهما للطفل والأخرى للفتاة وقد جلونا أمرهما بين الدارين فيما كتبناه من قبل بهذه الصحيفة ، أما نوادى الصبيان فقد سبقت الى انشائها أربع جماعات :

الأولى : جمعية الشبان المسيحية وقد انشأت ناديا عند محطة كوبرى الليمون .

الثانية : لجنة الاحتفال بالزفاف الملكى وقد أقامت للاولاد ناديا آخر عند سفح التل بحى الجمالية يعرف بمؤسسة الزفاف الملكى .

الثالثة : جماعة الرواد فى المحلتين اللتين أقامتهما فى حيى الطيبى والقللى .

الرابعة : جمعية التعاون الاجتماعى وقد احتضنت المبرات الاجتماعية وتولت ادارة اثنتين منها فى بعض الأحياء ، وأوفى هذه المؤسسات بالغرض وأوسعها مجالا هى المبرات الاجتماعية لذلك رأينا وقد اتجهت النية إلى تعميم نوادى الصبيان أن نعرض لما تقوم عليه هذه المبرات وخاصة أن لجنة البر قد أبدت اهتمامها بأمرها ، وعقدت النية على مداومتها ، لنرى ما اسفرت عنه التجربة ومدى ما ينبغى أن يؤخذ به فى المشروع الذى أوشك أن يوضع موضع التنفيذ .

فى مبرة المحمدى :

هناك فى نهاية شارع الملكة نازلى جوار مستشفى الدمرداش يرى السائر بناء فسيح الجنبات متواضع السمات هو مبرة جماعة التعاون الاجتماعى بالمحمدى وهى إحدى المبرات الثلاث التى تولتها جمعية التعاون الاجتماعى .

بالغ دار المبرة فاستقبلنا مراقبها الفاضل وهو زميل قديم استهوته الخدمة الاجتماعية فاختص المحرومين بحى المحمدى بكل فراغه ، وما أسمى خدمة البانين يهواها شبابنا ويفيدون من فراغهم بموالاتها والانصراف لها .

كنا فى الرابعة بعد الظهر ، وكان فناء المبرة خاليا إلا من بضعة غلمان يجهزون الملعب فمنهم من يعنى بتخطيط الأرض ، ومنهم من انصرف لاعداد ملابس زملائه .

وقادنا الأستاذ المشرف الى حجرة الادارة حيث رأينا الأولاد يتوافدون على الدار ويتتابعون ، وهم غلمان بين التاسعة والرابعة عشرة حفاة الأقدام ، لا يميزهم عن نظرائهم من أبناء السبيل غير تلك النظافة التى تبين فى هندامهم ، وتتجلى فى وجوههم ، وغير تلك الروح الفتية المهذبة التى تنم بها أقوالهم وتكشف عنها حركاتهم وهى شاهد على العناية التى يلقونها بالمؤسسة .

فبين جدران هذا المكان يقضى الأولاد ثلاث ساعات كل مساء يلقون خلالها من العناية ما فيه إصلاح لنفوسهم ، وتنبيه لمداركهم ، وسلامة لأبدانهم ، وحسبنا أن نصور للقارئ منهاج العمل اليومى هناك لنبين القواعد التى تقوم عليها رسالة القائمين بهذا المشروع وما يصل اليه ذلك الصغير المحروم إذا ما وجد من يهتم به ويوجهه التوجيه الصالح .

كيف يعنون بالمحرومين :

نحن فى مدخل المبرة ، والأولاد يسجلون أسماءهم عند زميل لهم ، حافى القدمين مثلهم ، هذا عضو سجل اسمه ثم انتقل إلى بناء الحمام حيث يستبدل بملابسه الخاصة ملابس المبرة ، ثم ينطلق الى فنائها .

وينقسم الأولاد فى لعبهم الى أربع فرق تحمل أسماء الخلفاء الراشدين للذكرى والتيمن ، هذه فرقة عمر الفاروق وتلك فرقة أبى بكر ، وهناك فرقة على وفرقة عثمان ، ويشرف على كل فرقة رئيس يعاونه كاتم سر ينتخبهما الأولاد انتخابا حرا لا دخل لادارة المبرة فيه ، ويمارس الأولاد بالناى الذى يختاره ، كل حسب سنه وقوته فهناك الألعاب السويدية وكرة السلة ورمى الحلقات ، وهناك الملاكمة للكبار ، وقد أدخلت هذه اللعبة لما شوهد من ميل الصبية الى التطاحن والتضارب تدفعهم الى ذلك غريزة حب المقاتلة ، ويشرف على الملعب متطوعان من خريجى معهد التربية البدنية ، وقد درجت المبرة على اقامة مباريات دورية بين الفرق تمنح الفرقة الفائزة فيها علما خاصا ، كما يمنح العضو المتفوق جائزة تختار عادة من الملابس لتكون أفيد للفقير وأنفع .

وتقوم الخدمة بالمبرة على الأولاد أنفسهم ، فتلك الفرق تتناول العمل من تنظيف الملعب ، واعداد أدواته وتنفيذ برامج الحفلات والاشراف على النظام .

وليست المبرة مجرد ندوة يختلف الأولاد اليها ليحدوا فى ملاعبها ملهاة لهم ومجالا لنشاطهم بل هى معهد يتلقون فيه ما يزيل أميتهم ويكافح بطالتهم ، ويداوى أسقامهم .

أما الأمية فتحارب بتلك الدروس التى يلقيها المشرف بقدر ما يتيسر له من وقت ، وأما صحة الأولاد فيعنى بها طبيبان يترددان على المبرة مرة كل أسبوع ، وأما البطالة فإن من أولى غايات المبرة مكافحتها ، وتيسير العمل لمن تعدوا سن الإلزام من أعضائها :

من آثار التوجيه الصالح :

اليوم الثلاثاء أحد يومى الاجتماع العام ، والأولاد ملتفون حول سارية العلم فى نظام بديع وقد أمسك كبيرهم بحبل السارية حتى اذا جذبه وارتفع اللواء عاليا انطلق الأولاد ينشدون تحية العلم فى أصوات عذبة تفيض حماسا وقوة .

وانك ليأخذك العجب وتعروك الدهشة حين ترى الى هؤلاء الذين كانوا بالامس يهيمون فى الحوارى ، ويتسكعون على أطوار الطرقات ، يتلقون فيها دروسا فى الفساد والاجرام ، تراهم اليوم وقد تبدل هندامهم وتهذبت حركاتهم يقفون وقفة رجل واحد حتى إذا صاح فيهم رائدهم ياشباب : ألفيت المكان يدوى بهتافاتهم .

لقد انتهى الأولاد من أناشيدهم ، وجلسوا الى السمر فى حلقة كبيرة يتوسطهم الأستاذ المشرف الذى مضى يقص عليهم قصصا فيها من أسباب الارشاد ما يوجههم الى النهج الصالح ويلزمهم جادة الخلق الكريم .

فاذا فرغ السمر انتهى الأولاد الى الحمامات ثم مضوا الى المطعم يتناولون عشاءهم الذى اعد لهم بارشاد معالى الدكتور عبد الواحد بك الوكيل فى تركيب يجمع كل العناصر المغذية ، ثم ينتهوا الى المسجد الذى اقامته المبرة لهم يؤدون فريضة العشاء .

ووقفت فى جمع يقرب من المائة غلام من تلك الطبقة التى كانت بالأمس اقرب الى الاجرام وأدنى من العصبة ، أتأمل كيف ساس بالمران قيادها ، وحسن بالتوجيه الصالح شأنها ، وما لهم لا يذكرون الله ويكبرونه وقد هيأ لهم من فضله من عوضهم عن بؤسهم فرجا ، وأتاح لهم فى ضيقهم مخرجا .

رجال . . . .

انفضل ياحسين ، متشكريا ابراهيم ، عال يا رجاله ... تلك هى العبارات التى تتجاوب بها جنبات المبرة ، وهذ هو الأسلوب الذى يخاطب به المشرفون على المؤسسة هؤلاء الصغار الحفاة ، ذوى الجلاليب المرقوقة والأردية المخرقة .

لقد أدرك القائمون بأمر المبرة أن اعزاز الصغير واشعاره بأنه انسان كغيره له شخصيته ، وله عزه وكرامته ، هو أقوى ما يحفزه إلى إصلاح نفسه واستكمال اسباب نقصه ، ولا غرو فهى الكرامة . . . الكرامة التى يرى فيها علماء النفس دعامة الشخصية وقوامها ، والتى ذهب بعض الفلاسفة امثال كانت إلى أنها الحافز على كل عمل مفيد للفرد ومصدر كل خير للجماعات .

رعاية المبرات للأسرات الفقيرة :

ولا يقصر القائمون بأمر المبرات جهودهم على رعاية الصغار فحسب بل تمتد خدماتهم الى الكبار من أباء الاولاد وغيرهم وتقوم هذه الخدمات فى نواح ثلاث :

الأولى : فى معونتهم المادية اذ تصرف كل يوم لحوالى مائة منهم وجبات كاملة من الخبز والخضر واللحم أو البقول وغيرها ، يحملونها فى أوعيتهم الى بيوتهم .

ولما كانت تذكية الشعور بالكرامة ومكافحة التسول والاستجداء هى غايات الجماعة الأساسية فقد عمدت الى تقاضى خمسة مليمات من كل فقير لقاء تقديم هذه الوجبة الكاملة.

و الثانية : فى تهيئة أسباب النظافة للفقراء فى المغاسل التى يضمها بناء المبرة ، فهناك ستون صنبورا بأحواضهم لغسيل الملابس كما أن هناك عشرات من الحمامات يستحم فيها الكبار فى أوقات خلوها من الصغار وقد جهز البناء بمحرك يعد الماء الساخن — ويصرف الصابون فى كل الحالات بغير ثمن .

وثالثة الخدمات التى تؤديها المبرات هى العمل على ارشاد اسرات الأولاد ورعاية شؤونهم فهى تبعث بالإخصائيين الاجتماعيين الى بيوت الفقـــراء لبحث أحوالهم وفض خلافاتهم وتدارك ما ينقصهم وتعقد المبرة فى كل أسبوع اجتماعا عاما يحضره جمع كبير من آباء الأولاد وأمهاتهم يستمعون فيه الى ما يعده لهم الأستاذ المشرف من نصح يوجههم وارشاد يفيدهم.

المبرات وفوائدها :

يقول الأستاذ برت Cyril Burt فى كتاب المذنب الصغير The Young Deliquant الا سبيل لتقويم الطفولة الجانحة بغير وسيلتين : تهيئة البيئة الصالحة من جانب وتيسير القوت للصغير من جانب آخر — وقد دعم الأستاذ بحثه باحصاء انتهى فيـه الى أن واحدا وثمانين فى المـائة من جرائم الصغار انما يدفع اليها الجوع ، وأن أكثر ما بقى يرجع الى حالة الازدحام المشاهدة فى المدن فتلك الأحياء المكتظة بساكنيها وهـذه البيوت التى تضيق بمن فيها من بنين يحشرون مع البنات فى سن تتفتح فيه براعم الفتـوة ، ويدب فى ابدان النشء دبيب اليقظة الجنسية كل أولئك يهيء للفساد بيئة خصيبة و يعد للجريمة جوا تفرخ فيه وتتكاثر ، والصغير الذى يستهويء الجريمة هو بغير شك أضر على المجتمع وأخطر ممن يذنب كبيرا واذا كان المشرعون ورجال الفكر فى اوروبا وامريكا قد أكثروا من الاشارة الى خطر اجرام الصغار فمما لا ريب فيه أننا أحق بالاستماع الى تلك النصيحة وترديدها وحسبنا أن نرجع فى هذا الى الاحصاء لنرى كيف يتردى فى هوة الاجرام كل عام جيش عرمرم من هؤلاء الصغار ، فقد ورد فى تقارير السجون أن عدد الاحداث الذين أدينوا تجاوز العشرة آلاف

فى الفترة ما بين عامى ١٩٢١ و ١٩٢٥ وأن السجون آوت من هؤلاء أربعة آلاف ونفذ الجلد فى خمسة آلاف وأن هذه الأرقام قد قفزت فى الفترة ما بين سنة ١٩٢٨ و ١٩٣٢ الى ما يربو عن الخمسة والأربعين ألفا .

يقول المثل الألمانى إن الزوجين لا يتشاجران ولكنه الفقر يتشاجر ، والمبرات التى يجد فيها الفقراء ندوات لأولادهم ، ومغاسل وحمامات ، ومطاعم لهم ولصغارهم ، ومعاهد ارشاد تنير عقولهم وتزيل أمية أولادهم ، هى بغير شك خير ما ينهض بالفقير و يرقى بحاله .

رأينا فيما تقدم أن المبرات تعنى بتنشئة الغلمان المحرومين تنشئة سليمة فهى :

(١) تعنى برياضة أجسامهم ونظافتها وسلامتها .

(٢) تمد الأولاد بالغذاء الصحى وتسهل لهم سبيل العمل كما تهتم بازالة أميتهم .

(٣) تهيئ لهم مجالا للنشاط الحر Free Activity يصرفهم عن النزوات التى يتعرضون لها فى بيئتهم الفاسدة .

(٤) ولعل خير ما يستند القائمون بأمر المبرات اهتمامهم بالناحية التربوية وأخذهم بأحدث أساليبها .

فهم كما رأينا يضعون بناء الشخصية هدفا لهم ، ولا نرانا بحاجة الى تكرار ما المعنا اليه من أثر تدعيم الشخصية فى بناء جيل صالح منتج وحسبنا أن نشير فى هذا الى ما قرره المؤتمر الدولى الخامس للتربية الاسرية الذى عقد فى بروكسل عام ١٩٣٥ والى ما ذكره ديوى وما كتبه روسل Russel فى تقويم الأطلنطيق الشهرى Atlantic Monthly وهما يصفان احترام الشخصية أساسا للنهوض بالنشء .

(٥) فاذا أضفنا الى ما تقدم ما يخلقه اجتماع الأولاد تحت لواء واحد وفى دائرة نظام يروضون أنفسهم على احترامه من تعويد لهم على حياة الجماعة Group Sprit وتوجيه صالح غرائزهم التى تحتاج فى تلك السن الى من يقودها اذا راعينا هذا كله وجدنا أننا حين نعنى بإقامة هذه المؤسسات انما نعد باقامتها معاهد ومعسكرات نخلق فيها من ذلك النشء المهدد بالفساد جيلا عاملا نافعا .

نريدها مبرات لا نوادى للصبيان :

إن الغاية التى تتجه اليها اللجنة التحضيرية لمشروعات أسبوع البر من اعداد نوادى تخلف اليها الصبيان من المشردين أو العاطلين أو أنصاف العاطلين كوسيلة للعناية بصحة الأولاد وملء فراغهم بما يفيدهم بدلا من اضاعة الوقت فى التشرد والتسكع فى الطرقات هى غاية ولا شك حميدة نبيلة ، ولكننا اذ وازنا السبيل الذى ترى اللجنة اقتفاءه بذلك المنهاج القويم الذى تقوم عليه المبرات الاجتماعية وجدنا أن من الخير اقامة مؤسسات الصبيان على ذات

الخطة التى تسير عليها المبرات الاجتماعية ولنا فى التمسك بالمبرات اسما وعملا عنوان : الأولى أن كلمة مبرة وهى مشتقة من البر الذى أعد له أسبوع البر أنسب من "النادى" الذى لا يفهم منه غير ندوة للهو ومكان لشغل الفراغ ، والثانية أن المبرات كما قدمنا تعالج مسألة الصغار علاجا كاملا فليس مجرد شغل وقت الأولاد هو كل ما يرمض بهم انما يتحقق الغرض حين يعمد المصلحون الى البيئة التى يأوى اليها الصغير فيعملون على رفع مستواها وتلافى ما هى عليه من نقص. وهذا ما تعنى به المبرات القائمة ، فهى كما رأينا تقدم للابناء معونة مادية بصرف الطعام لهم و بالعناية بنظافة ملابسهم فى مغاسلها وأجسامهم فى حماماتها و بارشادهم فى الاجتماعات التى تعدها لهم .

رب معترض يقول إن اللجنة قد توخت فيما ترسمت طاقتها وسعة ماليتها وعندنا أن لتدبير المال سبلا عدة .

الأولى : أن يحذف من الميزانية المقترحة للنوادى مرتبات المعلمين الخمسة الذين ترى اللجنة تعيينهم فى كل ناد وأن يكتفى بتكليف المدرسين الاراميين فى منطقة النادى باعطاء الدروس لقاء مكافأة لا تجاوز جنيها واحدا فى الشهر لكل معلم و بهذا يقتصد أربعة أخماس الاعتماد المقترح

الثانية : أن يسمح للجنة أسبوع البر ولجمعية المبرات الاجتماعية باصدار يانا صيب ينفق ربحه على المبرات .

الثالثة : أن تقام حفلات مسرحية ورياضية يخصص إيرادها للمبرات وأن تعد بين وقت ووقت حفلة عشاء للصغير المحروم يحضرها القادرون من أهالى كل حى لتناول طعام رخيص مع الأولاد لقاء ما يجودون به من تبرعات .

وسوف يساعد لجنة أسبوع البر على تعميم معونتها لتشمل الآباء وغيرهم من الفقراء عوامل عدة منها أن إعداد الطعام للكبار لن يحملها على تعيين طاه خاص فسوف يقوم باعداده الطاهى ومساعده اللذان سيعدان طعام الأولاد .

وأنها لن تنشئ للآباء حمامات خاصة و إنما سيقتصر الأمر على السماح للكبار بارتياد الحمامات فى غير أوقات استحمام الصغار .

وأن المغاسل بعد إنشائها لن تتكلف غير ثمن الماء والوقود والصابون .

فإذا أضفنا الى ما تقدم ما يمكن للجنة أسبوع البر من معونة وزارة الصحة التى ترعى المجموعات الصحية وتنفق عليها المال الوفير ، رأينا أن إقامة نوادى الصبيان على غرار مبرات التعاون الاجتماعى وطبق منهاجها هو بلا ريب أدعى الى بلوغ الغرض المرجو وأقرب لتحقيق البر كاملا غير منقوص .

محمد عبد الكريم